مطلب العلماء ثلثة

مطلب نزول عيسى عليه السلام حين يكون الملة ملة الاسلام

لا يغلب على ما يريده حكيما فيما دبر لعيسى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اى وما من
اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به فقوله ليؤمنن به جملة قسمية وقعت صفة لاحد ويعود اليه الضمير
الثانى والاول لعيسى والمعنى ما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن بان عيسى عبد الله ورسوله قبل
ان يموت ولو حين يزهق روحه ولا ينفعه ايمانه ويؤيد ذلك ان قرئ الا ليؤمنن به قبل موتهم
بضم النون لان احدا فى معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معالجة الايمان به قبل ان يضطروا
اليه ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضميران لعيسى والمعنى انه اذا نزل من السماء آمن به اهل الملل جميعا روى
انه ينزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى
يكون الملة واحدة وهى ملة الاسلام وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر
والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان مع الحيات ويلبث فى الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه
المسلمون ويدفنونه ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه
ابن الله فبظلم من الذين هادوا اى فباى ظلم منهم حرمنا عليهم طيبات احلت لهم يعنى ما ذكر فى قوله وعلى
الذين هادوا حرمنا وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا او صدا كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه
كان الربوا محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على دلالة النهى على التحريم واكلهم اموال الناس بالباطل
بالرشوة وساير الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما دون من تاب وآمن لكن الراسخون
فى العلم منهم كعبد الله بن سلام واصحابه والمؤمنون اى منهم او من المهاجرين والانصار يؤمنون بما انزل
اليك وما انزل من قبلك خبر المبتدا والمقيمين الصلوة نصب على المدح ان جعل يؤمنون الخبر لاولئك
او عطف على ما انزل اليك والمراد بهم الانبياء اى يؤمنون بالكتب وبالانبياء وقرئ بالرفع عطفا
على الراسخون او الضمير فى يؤمنون او على انه مبتدا والخبر اولئك سنؤتيهم والمؤتون الزكوة رفعه لاحد
الاوجه المذكورة والمؤمنون بالله واليوم الآخر قدم عليه الايمان بالانبياء والكتب وما يصدقه من اتباع
الشرايع لانه المقصود بالاية اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح
انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده جواب لاهل الكتاب عن اقتراحهم ان ينزل
عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان امره فى الوحى كساير الانبياء واوحينا الى ابرهيم واسمعيل ويعقوب
والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تعظيما لهم
فان ابرهيم اول اولى العزم منهم وعيسى آخرهم والباقين اشراف الانبياء ومشاهيرهم واتينا داود زبورا
قرا حمزة زبورا بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور ورسلا نصب بمضمر دل عليه اوحينا اليك كارسلنا او فسر
قد قصصناهم عليك من قبل اى من قبل هذه السورة او اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى
تكليما وهو منتهى مراتب الوحى خص به موسى من بينهم وقد فضل الله محمدا صلى الله عليه وسلم بان اعطاه مثل ما

١١٤

ما اعطى كل واحد منهم رسلا مبشرين ومنذرين نصب على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال ويكون رسلا
موطيا لما بعده كقولك مررت بزيد رجلا صالحا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا لولا ارسلت
الينا رسولا فينبهنا ويعلمنا ما لم نكن نعلم وفيه تنبيه على ان بعثة الانبياء الى الناس ضرورة لقصور
الكل عن ادراك جزئيات المصالح والاكثر عن ادراك كلياتها واللام متعلقة بارسلنا او بقوله مبشرين
ومنذرين وحجة اسم كان وخبره للناس او على الله والآخر حال ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر وبعد ظرفها
او صفة وكان الله عزيزا لا يغلب فيما يريده حكيما فيما دبر من امر النبوة وخص كل نبى بنوع من الوحى
والاعجاز لكن الله يشهد استدراك عن مفهوم ما قبله وكانه لما تعنتوا عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم من
السماء واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال انهم لا يشهدون ولكن الله يشهد او انهم انكروه ولكن الله
يثبته ويقرره بما انزل اليك من القرآن المعجز الدال على نبوتك روى انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما
نشهد لك فنزلت انزله بعلمه انزله متلبسا بعلمه الخاص به وهو العلم بتاليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ او بحال
من يستعد للنبوة ويستاهل نزول الكتاب عليه او بعلمه الذى يحتاج اليه الناس فى معاشهم ومعادهم
والجار والمجرور على الاولين حال عن الفاعل وعلى الثالث حال عن المفعول والجملة كالتفسير لما قبلها
والملائكة يشهدون ايضا بنبوتك وفيه تنبيه على انهم يودون ان يعلموا صحة دعوى النبوة على وجه
يستغنى عن النظر والتامل وهذا النوع من خواص الملك ولا سبيل للانسان الى العلم باستال ذلك سوى
الفكر والنظر فلو اتى هو لا بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا بها كما عرفت الملائكة وشهدوا عليها
وكفى بالله شهيدا اى وكفى بما اقام من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره ان الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون اغرق فى
الضلال وابعد من الانقلاع عنه ان الذين كفروا وظلموا محمدا بانكار نبوته او الناس بصدهم عما فيه
صلاحهم وخلاصهم او باعم من ذلك والاية تدل على ان الكفار مخاطبون بالفروع اذ المراد بهم الجامعون بين
الكفر والظلم لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا لجرى حكمه السابق ووعده
المحتوم على ان من مات على كفره فهو خالد فى النار وخالدين حال مقدرة وكان ذلك على الله يسيرا لا يصعب
عليه ولا يستعظمه يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم لما قرر امر النبوة وبين الطريق الموصل
الى العلم بها ووعيد من انكرها خاطب الناس عامة بالدعوة والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد بالرد
فآمنوا خيرا لكم اى ايمانا خيرا لكم او ايتوا امرا خيرا لكم مما انتم عليه وقيل تقديره يكن الايمان خيرا لكم ومنعه
البصريون لان كان لا يحذف مع اسمها الا فيما لا بد منه ولانه يؤدى الى حذف الشرط وجوابه وان تكفروا فان لله
ما فى السموات وما فى الارض يعنى وان تكفروا فانه غنى عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم ونبه على
غناه بقوله لله ما فى السموات والارض وهو يعم ما اشتملتا عليه وما تركبتا منه وكان الله عليما باحوالكم

Copyright © King Saud University